

"النهار"
الاحد 12 أيار 2002
عندما يستشهدون مرتين

"هنيئاً معنا ما راحوا
الشهيد بعمره ما غاب"
مقطع من أغنية وطنية يختصر معاني الوفاء والاخلاص للشهداء الذين ماتوا ليحيا لبنان، يكاد يفقد معناه وروحيته في زمن الصمت والخيانة. فهل ما زلنا فعلاً نذكر تضحياتهم وبطولاتهم ونسير على خطاهم فعلاً لا قولاً، أم نذكرهم مرة واحدة في السنة ونكتفي بترداد الاناشيد الحماسية في "قشة خلق" لنعود مجدداً إلى دائرة النسيان؟

في 6 أيار يتذكر لبنان شهداءه، كلّ الشهداء من الشمال الى الجنوب، وتمجّد الأحزاب والطوائف شهداءها. غير ان الكثير من الناس يعلم ان جريمة التغييب والإزالة من الذاكرة ما زالت مستمرة في حق شهداء من الوطن، شهداء من زحلة الصمود والكرامة، أزيل منذ سنوات نصب تخليدهم من وسط الساحة التي تحمل اسمهم، لأنهم مصدر خوف حتى في مماتهم. جريمتهم أنهم ارتكبوا فعل الإيمان بلبنان ووجوده الحرّ، وقالوا "لا" للفرّيسيين وتجار الهيكل.
الصمت القاتل يلفّ زحلة في ذكرى شهدائها، فننسى ان ابطالاً كانوا يصارعون الثلوج في قمم صنين ووديانه لتبقى لنا الحرية وننعم بالأمان، ننسى انهم سطروا ملاحم البطولة بدمائهم في سبيل هوية زحلة والبقاع اللبنانية...

هؤلاء يستحقون على الاقل لفتة بسيطة في حين أننا مستمرون في ضعفنا وجبننا: نلبّي دعوات الغداء والعشاء، نغدق الوعود المعسولة، نحبي القداديس من اجل الانتفاضة (لا مانع اذا كانت الاولوية للقضية اللبنانية). ونتجاهل ذكرى الذين ماتوا لنبقى.

أهو الخوف عقْدَ ألسنتنا، أم قيّدتنا المصلحة الفردية، أم كلاهما معاً؟ ألم تطرق آذان الناس بعد كلمات أغنية ربيع الخولي:

"اسمعوا أصوات اللي راحوا

عم تهدد بالضمير

عم تصرخ قوموا قوموا

من هالنوم الطويل

قوموا ما عاد في وقت

كونوا إنتوا المصير".

هل فكّرنا في شعور أمّ الشهيد التي ترى ابنها يموت مرتين؟

ألا تورقنا دمعها المحبوسة في المآقي، والغصّة المخنوقة في الصدر؟!

في 6 أيار، نحبي تضحياتكم يا شهداء زحلة، وقد لا نستطيع ان نعيد نصبكم الى مكانه - على الاقل في الوقت الحاضر - وربما لن نضع وردة على ضرائحكم، لكننا نساهم بتخليد ذكراكم بعمل وحيد:

مواصلة النضال لتحقيق اهدافكم في الحرية والسيادة والاستقلال وبناء الدولة الديمقراطية ونبذ

خيار الحرب واحترام الاخر، ونجدد عهدنا على تحرير الانسان والارض والشعب، وشعارنا أبداً،

نموت ويحيا لبنان".

ميشال أبو نجم
(كلية الاعلام -2)